Journal Name: Chronos

ISSN: 1608-7526

Title: Benghazi Qushla. Comparative architecture study

Author(s): Saadi Al-Darraji

To cite this document:

Al-Darraji, S. (2019). Benghazi Qushla. Comparative architecture study . Chronos, 39, 79-104. https://doi.org/10.31377/chr.v39i0.596

Permanent link to this document: https://doi.org/10.31377/chr.v39i0.596

Chronos
Revue d'Histoire de l'Université de Balamand
Numéro 39, 2019, ISSN 1608 7526



قِشلة بنغازي. دراسة عماريّة مقارَنة

سعدي إبراهيم الدّراجي[١]

ملخص

تعنى هذه الورقة بدراسة بناية عسكرية مهمة شيدت في مدينة بنغازي الليبية، وقد أشتهرت باسماء عدة منها (قصر البركة) نسبة للمنطقة التي بنيت فيها. ومن أسمائها غير الشائعة «الثكنة الشاهانية الكبيرة ببنغازي» وفي العهد الايطالي أطلق عليها اسم احد كبار قواد الجيش الجنرال موكاجاتا .Moccagatta شرع في بنائها والي برقة الحاج رشيد باشا، وذلك في نهاية عام ١٨٨٩م على أرجح الآراء. كي تكون مقراً جديداً لإقامة الحامية العسكرية الخاصة بمتصرفية بنغازي. وقد شهدت ليبيا في العصر العثماني الثاني (١٨٣٥-١٩١١م) بناءَ عددِ من القشل في مدنها الساحلية والصحراوية المهمة من أهمها: طرابلس، ومصراته، وزليتن، ومرزق، والجبل الغربي. لإيواء الحاميات من الجند في هذه المدن. بيد أن معظم القشل الليبية أزيلت في مدد متأخرة ولم يبق منها اليوم إلا النزر اليسر ومن أهمها قشلة بنغازي موضوع البحث. وكانت من اكبر المشاريع العسكرية التي عرفتها ليبيا إبان الحكم العثماني، مصممة لإيواء آلاف من الجند وتدريبهم. وقد سعى الأتراك إلى توفير ما يحتاجه الجند من مستلزمات تعينهم على الإقامة، كما زودت بساحة تدريب واسعة ومسجد. لذلك يُعد توثيقها ودراسة تخطيطها والوقوف على طبيعة عمارتها أمرا مهما بوصفها من أكبر الابنية العسكرية في الشمال الافريقي. ولا شك أن توثيقها يسهم في حفظها من الضياع بوصفها ارث حضاري يمثل فترة تاريخية معينة، ودراسة تخطيطها بالمقارنة مع قشل أخرى انتشرت في مختلف أنحاء البلاد والأقاليم المجاورة أو البعيدة تسهم في معرفة مدى التأثير والتأثر.

Abstract

This article documents an important military building in Benghazi (Libya), the *Qushla*. It was also named Al-Baraka palace, after the name of the area where it was built, or as the Shahan barracks; it is also called the Moccagatta, after the name of an Italian general. Haj Rasheed Pasha initially built the barracks at the end of 1889 as the modern headquarters of the Army. Elsewhere in Libya, in Muserata, Tripoli, Zleton, Murzeq, and in western mountain range, many buildings acted as *Qushlas* during Ottoman period (1835-1911). Most of them have now disappeared except for the Benghazi barracks, which was one of the largest military projects in Libya during the Ottoman period, with its large square and mosque.

---

١. جامعة بغداد / مركز إحياء التّراث العلميّ العربيّ.

التمهيد

عُرفت الثكنة العسكريّة في العصر العثمانيّ باسم قشلة أو قشلات، وهي لفظة تركيّة بمعنى المشتى، ثمّ صارت اِصطلاحًا يطلق على ثكنة الجند، أي مكان إقامتهم وعدم خروجهم للحرب في فصل الشتاء (الآنسيّ ١٢١٨:٤٢٠). أمّا قشلة بنغازي فقد عرفت بأسماء عدّة، من أشهرها قصر البركة نسبة للمنطقة التي بُنيت فيها. ومن أسمائها غير الشائعة "الثكنة الشاهانيّة الكبيرة ببنغازي" (العظم ١٩٩٨:٣٥) وفي العهد الإيطاليّ أُطلق عليها اسم أحد كبار قوّاد الجيش الجنرال موكاجاتا Moccagatta (بازامة ١٩٦٨:٣٠٧).

تقع القشلة، في مدينة بنغازي، في منطقة البركة التي كان جلّها، في نهاية العصر العثمانيّ، منطقة زراعيّة قليلة العمارة والبناء. وموضعها مرتفع تُشرف منه على المدينة ومينائها وتسيطر على المنطقة المحيطة بها من الجهات كلّها.

شرع في بناء قشلة بنغازي والي برقة الحاجّ رشيد باشا، وذلك في نهاية عام ١٨٨٩م على أرجح الآراء، كي تكون مقرًّا جديدًا لإقامة الحامية العسكريّة الخاصّة بمتصرّفيّة بنغازي، بعيدًا عن مركز المدينة وقلعتها القديمة الواقعة على شاطئ البحر، بعد أن أصبحت الأخيرة غير ملائمة ولا تلبّي متطلّبات الإدارة والجند.

إلّا أنّ هذا المشروع قد تأجّل العمل به لسنوات عدّة بسبب تدهور الحالة الاِقتصاديّة في برقة وما صاحبها من كوارث وأمراض. وكان رشيد باشا قد أنجز، قبل وفاته (١٨٩٣م)، معظم البناء، الأمر الذي سهّل على خلفه طاهر باشا إتمام المشروع بسنة واحدة فقط، والأخير قد باشر فعلاً في تكملة البناء عام ١٨٩٥م، وأصبح المعسكر، في هذه السنة، يستضيف جند الحامية للإقامة والتدريب. وهذا ما يؤكّده صادق مؤيّد العظم - مبعوث السلطان عبد الحميد الثاني إلى شيخ الطريقة السنوسيّة في الكفرة - الذي زارها في ٢٦ سبتمبر من السنة نفسها لاختيار أربعة جنود يرافقونه في رحلته إلى الصحراء؛ وعند وصوله القشلة استعرض طابور الجيش المرابط فيها على أنغام الموسيقى العسكريّة الناطقة بالتقدير والترّحاب (العظم:٣٥). ومع ذلك بقيت قيادة الحامية، على ما يبدو، في القلعة القديمة ولم تُنقَل إلى القشلة إلّا في السّنة التالية (١٨٩٦) أي بعد إتمام جميع أقسام المبنى (الصّورة ١).






الصّورة ١: قشلة بنغازي في سنة ١٨٩٥



الصورة ٢: تهديم مدخل القشلة من جرَاء قصف قوّات الاحتلال الإيطاليّ ١٩١١م

ومن المفيد ذكر أنّ مبنى القشلة هو أكبر مشروع عسكريّ عرفته ليبيا خلال الحكم العثمانيّ، مصمّم لإيواء آلاف من الجند وتدريبهم بعيدًا عن عيون الناس. وقد سعى الأتراك إلى توفير ما يحتاجه الجند من مستلزمات تعينهم على الإقامة فيه، كما زوّد بساحة تدريب واسعة ومسجد (بازامة ١٩٩٤: ٣٨٣، ٣٨٩، ٣٩٥، ٤١٠).

وطبيعيّ أن تكون القشلة الهدف الأوّل للقوّات الإيطاليّة الغازية عند احتلالها مدينة بنغازي في صباح يوم ١٩١١/١٠/١٩م، بوصفها من أهمّ المباني العسكريّة التي تُؤْوِي أفرادًا من الجيش العثمانيّ، حيث قامت البوارج البحريّة بإطلاق نيران مدافعها ودمّرت قسمًا من واجهتها، واستولت عليها، واتّخذتها مقرًّا لبعض قوّاتها المتمركزة في مدينة بنغازي، حيث سعت إلى ترميم ما تمّ تدميره جرَاء القصف (تيجاني ٢٠٠٣:٢٦). كما كانت في الحرب العالميّة الثانية هدفًا للجيوش المتصارعة (الحلفاء والمحور)، حتّى سيطرت عليها القوّات الاِنكليزيّة في نهاية عام ١٩٤٢م واتّخذتها مقرًّا لقوّاتها، ثمّ سلّمتها للجيش اللّيبيّ بعد الاستقلال (الصّورة ٢).

تخطيط القشلة

لعلّ وحدة التّخطيط التي نلحظها أحيانًا في الأبنية ذات الصّفة الحربيّة تعود إلى عناية الأتراك بالعلوم العسكريّة والعمائر المرتبطة بها كأسوار المدن والقلاع والقشل أو الثكنات؛ وقد أسّسوا لذلك مدارس حربيّة خاصّة أسهمت في استحداث دراسات حول المنشآت الدفاعيّة وفنّ التّحصين، وهذه الدّراسات تكون عادةً مزوّدة بمخطّطات ورسوم دقيقة. ومن أهمّ الأمثلة في الشمال الأفريقيّ مدرسة باردو الحربيّة بتونس التي اعتنت، في القرن التاسع عشر، بترجمة الكتب الى جانب تدريسها اللّغات والحساب والهندسة والجغرافيا وعلم التّحصين

والصّناعات الحربيّة والقوانين العسكريّة (القفصي ١٩٩٧:٤٨)؛ فضلاً عن الاِستعانة بالمهندسين الأتراك كلّما دعت الحاجة إلى ذلك (غيرهارد رولفس ٢٠٠٢:١١٢)؛ لقد شهدت ليبيا، في العصر العثمانيّ الثاني (١٨٣٥-١٩١١م)، بناءَ عددٍ من القشل في مدنها الساحليّة والصحراويّة المهمّة، من أهمّها: طرابلس، ومصراته، وزليتن، ومرزق، والجبل الغربيّ، لإيواء الحاميات من الجند في هذه المدن. بيد أنّ معظم القشل الليبيّة أزيلت في مدد متأخّرة ولم يبق منها اليوم إلا النّزر اليسير، ومنه قشلة زليتن التي تشبه، إلى حدّ كبير، قشلة مصراته، والأخيرة اعتنى بها الايطاليّون في عشرينيّات القرن الماضي واستغلّوها طيلة بقائهم هناك. (الصورتان ٣ و٤)

والقشل في هذه المدن صغيرة المساحة مبنيّة داخل الأحياء السكنيّة أو بقربها، وتخطيطها يعتمد على صحن مكشوف تحيط به حجرات وقاعات كبيرة لمبيت الحامية المرابطة بالمدينة، وفيها جناح خاصّ لإقامة ذوي الرُّتب العسكريّة، فضلاً عن وجود المرافق الخدميّة المكمّلة كالمطبخ والمطعم والحمّام (الدّراجي ٢٠٠٣:٦٩).



الصّورة ٣: قشلة مصراته وقلعتها إبّان الاِحتلال الإيطاليّ







الصّورة ٤: القشلة والسّراي في زليتن

وإذا انتقلنا إلى بعض القشل المقامة في المدن العربيّة التي خضعت للسّيطرة العثمانيّة، نلاحظ أنَّ عاصمة تونس مازالت تحتفظ بقشلة تقع قرب سوق البشامقة وهو متخصّص بصناعة نوع من الأحذية أو الخفاف يسمّى الواحد منها (بشمق). لذلك تعرّف بـ (قشلة البشامقة)، مؤرّخة سنة ١٢٣٠هـ (١٨١٤م)، وهي من أجمل مباني تونس العثمانيّة وتخطيطها يشبه تخطيط الفنادق المبنيّة في كلّ من تونس العاصمة وطرابلس في العصر القرمانليّ (١٧١١-١٨٣٥م)، تتألّف من صحن مستطيل محاط بأربعة أجنحة بنائيّة من طابقين، وقوام كلّ طابق منها سلسلة من الحجرات والغرف مسقَّفة بأقبية متقاطعة، يتقدّمها رواق ينفتح على الصّحن بعقود نصف دائريّة محمولة من الأمام على أعمدة حجريّة ذات تيجان كاسيّة؛ ومداخل الأبواب متوّجة بعقود على هيئة حدوة الفرس[٢].

وكذلك بيروت التي فرضت فيها السلطة العثمانيّة نفسها، بعد عودتها عام ١٨٤٢م، من خلال المظاهر الحضاريّة الجديدة المتمثّلة بالأبنية الحديثة وعلى رأسها القشلة المشيّدة على الرّبوة المشرفة على المدينة لتكون مقرًّا للأجهزة العسكريّة والمدنيّة في الدولة العثمانيّة في بيروت، وتعرّف بالقشلة الهمايونيّة. كما أقامت، خارج الأسوار، سراي وعددًا من الأبنية التجاريّة المرتبطة بالميناء (دايفي ٢٠٠١:٢٥).

ومبنى القشلة مؤلّف من ثلاثة طوابق، أرضيّ لإقامة الجنود، وسفليّ للخيول، وأضيف طابق آخر علويّ في عهد السلطان عبد الحميد الثاني، وإلى جانبها مستشفًى عسكريّ عرف بِاسم "الخستخانة". وللقشلة صحن واسع تحيط به الغرف ولها ثلاثة مداخل رئيسة. ويذكر أنّ والي بيروت عزمي بيك هو الذي قلب هذه القشلة من ثكنة عسكريّة إلى دار للحكومة

٢. المعلومات عن قشلة البشامقة مصدرها زيارة لتونس العاصمة قام بها الباحث في ٢٠٠١/٩/٢٤م.


الصّورة ٥: صورة حديثة لقشلة بيروت (Google)

وفرشها بما يلزم لذلك. وبعد سنة ١٩١٨م وسقوط الحكم العثمانيّ اتّخذتها السلطة الفرنسيّة مركزًا لها، وأضافت إليها درجًا في الجهة الشماليّة، وأنشأت فوقه شرفة يطلّ منها المفوّض السّامي ثمّ رؤساء الحكومات بعده لتحيّة الجمهور عند اجتماعهم في الساحة وإلقاء الخطب (الصّورة - ٥).

وطبيعيّ أن تختلف قشلة بيروت عن قشلة بنغازي في التّخطيط وشكل العمارة، وأبرز أوجه الاِختلاف يكمن في طريقة التسقيف حيث اعتمد المعمار، في تسقيفها، الشكل المسنّم بالقراميد نظرًا لتواتر الثلوج في فصل الشتاء هناك. أمّا جدرانها فبنيت بالحجارة الرمليّة، والقراميد على الأرجح أضيفت في عام ١٨٩٩م. في حين اعتمد المعمار في بنغازي على التسقيف بالخشب. كما أنّها تختلف عن قشلة بنغازي في عدد الطبقات واستغلال الطابق السفليّ مرابط للخيول، لاسيّما في فصل الشتاء، للمحافظة عليها من قساوة الجوّ البارد والأمطار التي تهطل بغزارة في بيروت. أمّا في بنغازي فالخيول كانت تربط في الصحون والأماكن المكشوفة لاِعتدال الجوّ في معظم أيّام فصل الشتاء.

ولمّا كانت قشلة دمشق تتقارب، من حيث العمارة، من قشلة بيروت فمن البديهيّ أن تختلف، في جلّ تفاصيلها وتخطيطها، عن قشلتنا موضوع الدراسة. وقشلة دمشق المعروفة

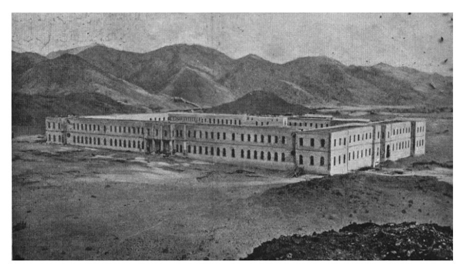


بمساحتها الواسعة وفخامة بنائها مشيّدة إبّان الولاية الأولى لوالي الشام المصلح حسين ناظم باشا (١٨٩٥-١٩٠٧م)، وسمّيت بالحميدة نسبة للسلطان عبد الحميد الثاني. وقد صمّمت لتسع خمسة آلاف جنديّ من أفراد الفيلق الرابع المتمركز في دمشق. وكانت تحتوي على اصطبلات ومخازن ودار للبَيطرة.

والحقيقة أنّ المعمار لم يراعِ، في قشلة دمشق، الوسائل الدفاعيّة، فجعلها مفتوحة، من الجهات كلّها، على الخارج بنوافذ كبيرة وجدت لإضاءة الحجرات والغرف وتهوئتها. وقد زوّدت أركانها الأربعة بأبراج واسعة مربّعة يمكن منها المراقبة ومشاهدة محيط القشلة بيسر، لأنّها تتكوّن من طابقين ومزوّدة بنوافذ كبيرة أيضًا (الصّورة ٦).

والشَّبه، في شكل العمارة وعناصرها، مع قشلة بيروت امتدّ ليشمل طريقة التسقيف وبروز كتلة المداخل التي توسّطت الأجنحة البنائيّة، ومادّة البناء في كلتا القشلتين هي الحجر والجصّ. وبقايا القشلة المشغولة اليوم من قبل بعض كلّيّات جامعة دمشق مازالت محافظة على شكلها القديم، على الرغم من التحديث الذي طرأ عليها.

والأرجح أنّ قشلة بنغازي كانت مصمّمة أصلاً لتكون على شكل مستطيل يضمّ أربعة أجنحة بنائيّة بطابقين، لكلّ جناح مدخل واسع يقع في منتصفه تمامًا؛ وهذا التّخطيط يتماشى مع المباني العسكريّة، سواء أكانت قلاعًا أم قشلاً، بوصفها ثكنات معدّة لإيواء آلاف من الجند في فصل الشّتاء. والتّخطيط المذكور يشبه، إلى حدّ كبير، تخطيط خانات الطُّرق المشيّدة في العصر العثمانيّ، ومن أحسن الأمثلة خان بناه العثمانيّون في أواخر القرن التاسع عشر في مكّة المكرّمة لإيواء قوافل الحَجِيج. (الصّورة ٧) والخان شديد الشَّبه بقشلة دمشق، قوامه صحن واسع تحيط به أربعة أجنحة بنائيّة من طابقين، ما يؤكّد أنّ التّقارب بالوظيفة يستدعي، بالضرورة، إنتاج عمارة متقاربة في الشّكل والتّخطيط.



الصّورة ٧: خان عثمانيّ لإيواء الحجيج في مكّة (مجلّة ثروت فنون)



الصّورة ٦: صورة قديمة لقشلة دمشق (Google)



والتّصوّر الآخر الذي لا بدّ من طرحه هو أن تكون قشلة بنغازي مصمّمة أصلاً على شكل مستطيل مفتوح من أحد جهاته لتصبح قريبة من شكل الحرف اللّاتينيّ U، أي أنّ البناية تتكوّن من ثلاثة أجنحة فقط، كما هي الحال في قشلة بغداد المبنيّة في منتصف القرن التاسع عشر الميلاديّ، والتي مازالت قائمة على الضفة الشرقيّة لنهر دجلة، وقد ألصقت بأبنية السّراي من الجهة الشّماليّة، وتُركت جهتها الغربيّة دونما بناء بعد أن تكفّل النّهر بحمايتها من هذه النّاحية.

وقشلة بغداد مصمّمة، في الأصل، على شكل جناحين أحدهما طويل يمثّل الواجهة، امتدّ من الشمال إلى الجنوب، والآخر قصير تعامد على الأوّل ليرسم معه زاوية قائمة تنفتح نحو الجهة الشّماليّة الغربيّة، والتّخطيط يشكّل، في الوقت نفسه، ما يشبه الحرف اللّاتينيّ L (المخطّط ١) حيث استطاع المعمار، من خلاله، أن يستغلّ جميع المساحة ويترك متعمّدًا صحنًا واسعًا يصلح لإقامة جميع الفعاليّات ذات الصّلة بالأمور العسكريّة والتدريب، ويخصّص جانبًا منه إسطبلاً للخيل.

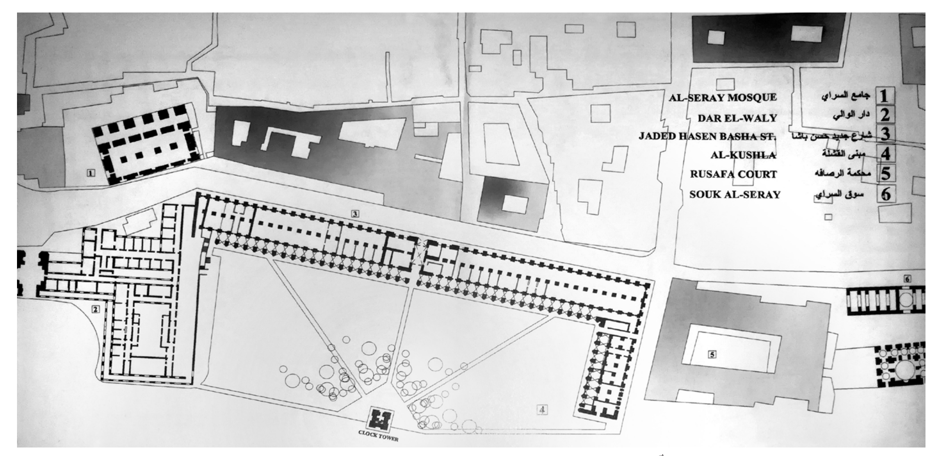
وإذا تخيّلنا أنّ القشلة كانت تتّصل بالأبنية الجنوبيّة للسّراي التي كانت تمثّل مجلس الوزراء للحكومة العراقيّة في العهد الملكيّ والباقية حتى الوقت الحاضر، يكون تخطيطها مستطيلًا مفتوحًا من جهة النّهر. لاسيّما وأنّ صحن القشلة يمتدّ مع صحن السّراي حتّى المسناة التي تطلّ على دجلة (الصّورة ٨).



الصّورة ٨: قشلة بغداد من الدّاخل



إذن، عدم وجود موانع طبيعيّة قادرة على توفير الحماية اللّازمة من الجهة الخلفيّة لقشلة بنغازي في وقت الخطر، كما في قشلة بغداد؛ يجعلنا نرجّح أنّ تصميمها الأصليّ كان مغلقًا، أي يتكوّن من أربعة أجنحة بنائيّة تنفتح على ساحة واسعة للتّدريب؛ بيد أنّ العثمانيّين لم يتمكّنوا من تنفيذ الأجنحة كافّة بسبب الظّروف الاِقتصاديّة وقلّة الإيرادات، واكتفَوا بتنفيذ المرحلة الأولى من البناء المتمثّلة بالواجهة أو الجناح الأماميّ مع أبراجه الركنيّة وشيءٍ من أساسات الجناحَين الشرقيّ والغربيّ، ثمّ قُدّر للإيطاليّين، بعد الاحتلال مباشرةً، تكملة بناء الجناحَين.



المخطّط ١: قشلة بغداد والسّراي المجاور لها من جهة اليمين



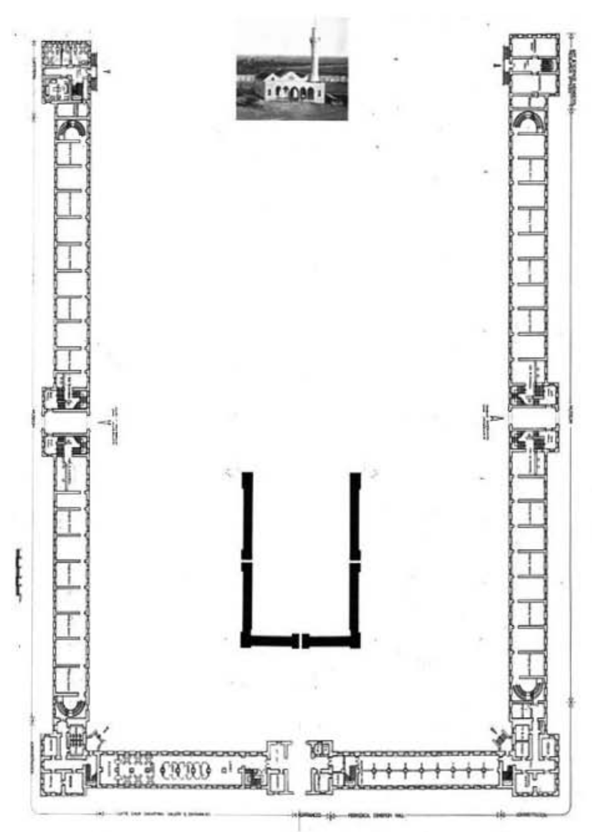
Fig. 2. — Il castello ed il Gebel Ifren, dominanti la Gefara. (Fot. Cava

الصّورة ٩: قلعة يفرن عام ١٩١٣م



وربّما تكون القشلة مصمّمة على شكل مربّع، وفي هذه الحالة يكون الجامع خارج أسوارها كما هي الحال في قلعة يفرن المشيَّدة على حافَّة وادٍ وجامعها المسقف بستّة قباب ومئذنة مضلّعة لا يبعد عن السُّور سوى بضعة أمتار (الصّورة ٩).

لقد قامت الشّركة الليبيّة التركيّة للخدمات الهندسيّة والاستشاريّة، عام ١٩٩٣م، بوضع مخطّطات بقصد إعادة تأهيل المبنى وتحويله إلى متحف كبير؛ وعند رفع الأجنحة البنائيّة تمّ تقسيمها إلى ستّة أقسام يتكوّن بعضها من طابقَين: أرضيّ وعلويّ، وبعضها الآخر من ثلاثة طوابق: سرداب يليه طابقان. والأقسام معظمها مخصَّص لإقامة الجند، وهي مصمّمة على شكل قاعات كبيرة، وبعضها مصمّم على شكل أجنحة للضّبّاط ومكاتب إداريّة وسجن ومطابخ ودورات مياه ومخازن وإسطبلات، فضلاً عن ساحة للتّدريب (المخطّط ٢).



المخطّط ٢: قشلة بنغازي في عهد الاحتلال الإيطاليّ



وما دمنا نسعى إلى توثيق الأبنية العثمانيّة في مدينة بنغازي، فمن البديهيّ أن ينصبّ جُلّ الدّراسة على الجزء العثمانيّ الذي يمثّل الواجهة الأماميّة للقشلة؛ أمّا الجناحان الآخران المبنيّان من قِبل الطّليان فسوف نتعرّض إليهما كلّما دعت الحاجة إلى ذلك، أو عند الضرورة، تماشيًا مع سياق البحث. وهما يتشابهان مع الجناح العثمانيّ في المظهر والشكل الخارجيّ، ويختلفان عنه في التّقسيمات الداخليّة، ويتكوّن كلّ منهما من طابقَين وآخر سفليّ، وهما مقسّمان على شكل غرف واسعة متّصلة الواحدة منها بالأخرى بمداخل بينها أجنحة خاصّة لذوي الرّتب. والأجنحة مزوّدة بجميع ما يحتاجه الجند من إسطبلات وحمّامات ومرافق خدميّة تعيّنهم على الإقامة.

الواجهات: (الصّورتان ١٠، ١١)



الصّورة ١١: الواجهة الأماميّة لقشلة بنغازي (٢٠٠٩)



الصّورة ١٠: الواجهة الأماميّة لقشلة بنغازي (٢٠٠٩م)

يبلغ طول الجناح القديم الذي يمثّل الواجهة الأماميّة للقشلة ١٥٥م وعرضه من داخل الردهات ٨م، تتوسّطه كتلة من طابقَين بارزة عن سَمْتِ الواجهة، فتح في وسطها مدخل على شكل فتحة مستطيلة (٦م×٣,٥٠م) متوّجة بعقد نصف دائريّ تعلوه زخارف نباتيّة منحوتة بالحجارة تعود إلى عام ١٩١١م كما هو مثبّت على النقش.

إنّ جلّ الواجهة الأماميّة للقشلة نوافذ متوّجة بعقود منخفضة، موزّعة بأبعاد متساوية، وجدت لتهوئة الوحدات البنائيّة في الطّابقَين وإنارتها. بلَغ عددها في الطّابق الواحد قرابة المائة نافذة وهي متناظرة ومتشابهة في الشكل والأبعاد.

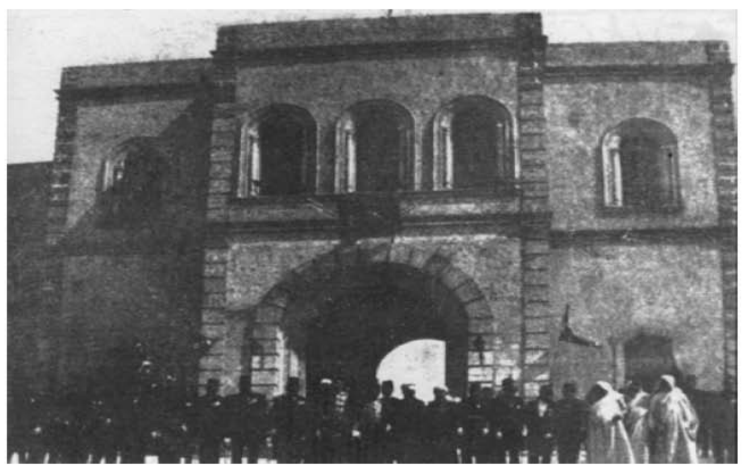
يفصل بين الطّابقَين إفريزٌ بارزٌ من الحجارة ارتفاعه بمستوى سقف الطّابق الأرضيّ، وآخر بارتفاع سقف الطّابق العلويّ. والإفريزان من شانهما أن يظلّلا النّوافذ ويساعدا على

حمايتها من المطر. وقد أَضفَيا على الواجهة شيئًا من الحركة وأخرجاها من ملل التّكرار وعتمة الجمود.

وعلى الرّغم من أنّ الجناحَين الشرقيّ والغربيّ مبنيّان بُعَيد الاِحتلال الإيطاليّ إلّا أنّهما مشيَّدان على نسق الجناح الأماميّ، حيث استمرّت الواجهات تنفتح بنوافذها الكثيرة بالشكل والأبعاد نفسها، وتكرّرت الأبواب الرّئيسة في منتصف كلّ جناح. ليس هذا فقط، بل حتّى السّرداب الذي أقيم تحت الطّرف الغربيّ للجناح الأماميّ استمرّ تحت الجناح الغربيّ كإسطبل لربط الحيوانات. أمّا الاِختلافات فتظهر جليّة في التّقسيمات الداخليّة المرتبطة بطبائع الشعوب وعاداتها وطرائق عيشها وتقاليد جيوشها. ولبناية القشلة واجهة أخرى داخليّة لا تختلف كثيرًا، من حيث التّصميم، عن الواجهة الأماميّة، ونوافذُها تطلّ على الصّحن.

المدخل

من الملاحظ أنّ المدخل الذي يشاهد الآن قائمًا في منتصف واجهة القشلة يختلف عن مدخلها الأصليّ. لأنّ الإيطاليّين اجتهدوا في تصميمه بعد إعادة بنائه من جديد. وبمساعدة الصّور القديمة التي تعود للعصر العثمانيّ (الصّورة ١٢) يمكن حصر التّغيّرات الطّارئة على كتلة المدخل بالنّقاط الآتية:



الصّورة ١٢: المدخل الأصليّ قبل الاِحتلال - عن القلال



١. المدخل، في الأصل، كان قائمًا وسط كتلة كبيرة لها بروزان: الأوّل يمكن مشاهدته اليوم بارزًا عن سمت الجدار بمقدار ١,٣٠م، وهو واسع يمتدّ طوله إلى ١٩,٣٥م ليرسم حدود المجاز والحجرات الجانبيّة الخاصّة بالحرس. أمّا البروز الثاني، الذي ضمّ فتحة المدخل، فقد أُلغي أثناء إعادة بناء المدخل من قِبَل الطّليان عام ١٩١١م. وكان مقدار بروزه عن سمت الكتلة الأولى أكثر من مقدار البروز الأوّل، ما سمح بفتح نوافذ جانبيّة تطلّ على الجهتَين الشرقيّة والغربيّة. والبروز المُلغَى، الذي ضمّ فتحة المدخل، كان مؤكّدًا من الجانبَين بإطار مبنيّ بصنج الحجارة وفوق العقد ثلاث نوافذ وجدت لإنارة إحدى القاعات المهمّة في الطّابق العلويّ. بَيْدَ أنّ الإيطاليّين استبدلوا النّوافذ الثّلاث بنافذتَين متجاورَتَين من الطّراز نفسه. (الصّورة ١٣)



الصّورة ١٣: المدخل بعد الصّيانة عام ١٩١١م

٢. يبلغ عرض المدخل الحاليّ ٣,٥٠م، أمّا المدخل الأصليّ فكان واسعًا عرضه أكثر من أربعة أمتار.

إنّ المدخل الأصليّ كان على شكل عقد نصف دائريّ مبنيّ بصنج الحجارة الكبيرة، يقوم على أكتاف مرتّبة من الحجارة نفسها. أمّا اليوم فهو عبارة عن فتحة متوّجة بعقد نصف دائريّ يقوم على أكتاف لها قواعد وتيجان مربّعة، وقد أحيط العقد بحليّة على شكل إطار منحوت بالحجارة قوامه عمودان ذَوا تيجان تواصلت من الأعلى بإفريز بارز مزيّن بشريط من الأوراق والأزهار المحمولة بغصن نباتيّ. كما شغلت كوشتَي العقد زخارفُ

نباتيّة مجرّدة منحوتة بشكل بارز وجدت لملء الفراغ، وهي متناضرة تمثّل أوراقًا وأزهارًا. ومن المفيد ذِكرُ أنّ هذا النوع من المداخل مازال يشاهَد بكثرة في البيوت القديمة لمدينة بنغازي، ما يؤكّد أن الطّليان استعانوا، في بناء ما تهدّم من القشلة أثناء الحرب، بعمّال محلّيّين أو أجانب كانوا مقيمين في بنغازي.

٣. للقشلة لوح تأسيسيّ يؤرّخ للبناء ويحمل شعار الدّولة العثمانيّة أو طغراء السّلطان، كان مثبّتًا فوق عقد المدخل، وهو ممّا جرت عليه العادة في بناء القلاع وبعض المنشآت المدنيّة على اختلاف وظائفها. وكان معلّقًا على كلّ من جانبَي المدخل فانوس يعمل بالكيروسين.

إيوان المدخل: (الصّورة ١٤)

يقود المدخل الرئيس إلى مجاز (١٢,٣٠م×٧م) مبنيّ على شكل إيوان مفتوح على الصّحن بعقد. والإيوان مغطًّى بسقفٍ مستوٍ من الخشب قوامه ألواح عريضة مرصوصة فوق جوائز فخمة مصندقة، سقط بعضه من جراء قصف البوارج الحربيّة أثناء الاِحتلال الإيطاليّ عام ١٩١١م، ثمّ أُعيد بناؤُه بالطريقة القديمة نفسها. ولا شكّ في أنّ صندقة جوائز المجاز بألواح رقيقة من الخشب والعناية الكبيرة بسقفه قد تمّتا أثناء التّجديد في أوّل العهد الإيطاليّ. وقد تضرّر، بعد ذلك، بفعل الإهمال والتّقادم، ما استوجب دعمه بعوارض حديد فخمة تستند إلى أعمدة من الحديد نفسه.

يتفتح الإيوان على الصّحن بعقد يناظر عقد المدخل، يرتكز على عمودَين إسطوانيَّين من الحجارة المنحوتة. بلغ قطر الواحد منهما ٠,٩٠م، وقد دمج جزءٌ من العمود مع الجدار وهيّئ لاستقبال رجل العقد وسادة عَلَت البدن بدل التاج. أمّا قاعدته فهي من جزأَين: الجزء السّفليّ قطعة مربّعة والأخرى دائريّة.



الصّورة ١٤: إيوان المدخل



ومن الملاحظ أنّ سعة المجاز تتناسب مع حجم البناء وفخامته وتتّفق، في الوقت نفسه، مع الوظيفة، حيث صمّم ليستقبل، كلّ يوم، أفواجًا من الجندَ يُؤمّون القشلة أو يغادرونها، ومنه يتمّ توزيعهم على العنابر والقاعات وباقي الأقسام البنائيّة. وفخامة المجاز اِنعكست أيضًا في العناية بسقفه وارتفاعه الذي بلغ ٧م.

لقد أُلحِقَت بالمجاز، من الجهتَين، وحدات بنائيّة متناظرة تشترك مع المجاز بارتفاع السّقف. يتكوّن كلّ من هذه الوحدات من حُجرَتين: الأولى تَلي المدخل مباشرةً، وهي مربّعة الشكل تقريبًا (٤,٨٠م×٤,٤٠م) وكانت مخصّصة للحرس الذين يتناوبون على حراسة القشلة ويسهرون على حمايتها. ولهذه الحجرة مدخل ينفتح على المجاز وآخر على الحجرة المجاورة، فضلاً عن نافذة تطلّ على الخارج. أمّا الحُجرة الثانية فأوسع ومستطيلة الشّكل (٦,٥٥م×٤,٤٠م)، لها مدخل كبير متوّج بعقد نصف دائريّ يرتكز، من كلّ جانب، على زوج من أنصاف الأعمدة المندمجة بالجدران. ومدخل الحجرة الثّانية، وفق هذا التّصميم، مفتوحٌ على الدّوام، أي دونَما باب، وعرضه يربُو على ٢,٤٠م.

ومن المهمّ التّأكيد، هنا، أنّ قاعَتَي الاِستقبال المتناظرتَين في المجاز كانتا خاليَتَين من البناء. والدّرج القائم داخل حجرة الاِستقبال الواقعة على يسار الدّاخل مضاف في العهد الإيطاليّ، وكذلك الحال مع الحمّامات القائمة الآن في قاعة الاِستقبال الأخرى الواقعة على يمين الدّاخل، فهي إضافات استُحدثت من قِبَل الوحدات العسكريّة الوطنيّة التي شغلت القشلة بعد الاِستقلال. لذلك حاولنا تجاهل الإضافات المذكورة عند رسم المخطّطات.

الرَّدهات أو قاعات مَبِيت الجند

تنحصر رَدهات إقامة الجند بين كتلة المدخل المتمثّلة بإيوان المدخل وملحقاته والبرجَين اللّذين شغلا زوايا البناء، وقوام الرّدهة، في كلّ من الجناحَين الواقعَين على يَمين إيوان المدخل ويساره، قاعةٌ كبيرة مكرّرة في الطّابقَين اِمتّدت لتشغل معظم مساحة البناء في الجزء العثمانيّ (الصّورة ١٥).

تبدأ الرَّدهة في الطّابق الأرضيّ بحجرة مربّعة طول ضلعها ٨م. والرَّدهة في كلّ طابق مصمّمة على شكل قاعة مستطيلة أبعادها في كلّ جهة (٥٤,٢٠×٨م)، مقسومة إلى نصفَين بوساطة بائكة تتألّف من تسعة عقود نصف دائريّة تقوم على أكتاف مربّعة يربُو طول ضلع الكتف فيها على المتر. ولا شكّ في أنّ فخامة أكتاف البائكة وعقودها كانت بقصد المساعدة



الصورة ١٥: الردهات من الداخل

في حمل ثقل السّقوف في الطابقَين، كي يسهّل تسقيفها بجوائز تعلوها ألواح من الخشب. لقد زوّدت كلّ ردهة من الرّدهات في الطّابقَين بصفَّين متناظرَين من النّوافذ: الأوّل يطلّ على الخارج والآخر يطلّ على الصّحن.

يبلغ ارتفاع سقف الرّدهات في الطّابق الأرضيّ ٥م، وهذا يعني أنّ سقوف الرَّدهات في الجناحَين أقلّ ارتفاعًا من سقف المجاز بمقدار ٢م. وقد تعرّضت هذه السُّقوف إلى أضرار جسيمة نتيجة الدّمار الذي لحقها من جراء الحروب، فضلاً عن كثرة التّغييرات الطّارئة التي شهدتها البناية في العهود المختلفة. ومع ذلك، مازال جزء كبير من السقف الأصليّ قائمًا، وهو يعود إلى زمن التّأسيس في العصر العثمانيّ.

الأبراج

تعدّ الأبراج أَحدَ المظاهر المهمّة في جميع الأبنية العسكريّة، إذ تتيح منصّاتها العليا إطلاق النّار ومراقبة مشارف تلك الأبنية. ثمّ أصبح وجودها من المكمّلات الأساسيّة في العمارة الدينيّة والأخرى المدنيّة بفضل ما تضفيه على مظهر تلك البنايات من بهاء وحسن، فضلاً عن كونَها تقوم بدعم البناء وتقويته (الدّراجي ١٩٨٥:١٣٣).



إذن، من الطبيعيّ أن تحتلّ الأبراج أركان القشلة، وهي قائمة الزوايا، تبرز عن سمت الواجهة بمقدار مترَين، ما يتيح لها السّيطرة على الخارج والإشراف عليه من النوافذ.

تربو قياسات البرج الغربيّ من الخارج على (١٦,٤٠م×١٣,٨٠م)، ويتكوّن من ثلاثة طوابق: سفليٌّ منخفض تحت سطح الأرض بمستوى السرداب، وهو مقسّم من الدّاخل إلى أربع حجرات مزوّدة بمداخل تفتح على دهليز يمتدّ من الشرق إلى الغرب وآخر متعامد عليه ليرسما في لقائهما شكل الحرف اللاّتينيّ (T)؛ وآخَرانِ أرضيٌّ وعُلويٌّ يتكرّر فيهما هذا التقسيم بالوتيرة نفسها، حيث تصبح الحجرات والغرف مفتوحة على مختلف الجهات فيتّسع فضاؤها الداخليّ وتزداد إنارتها والعناية بها بشكل ملحوظ، حتّى ليُخيّل للزّائر، من الوهلة الأولى، أنّ غرف البرجَين كانت بمثابة أجنحة خاصّة لذوي الرّتب من الضّباط، أو للإدارات المرتبطة بهذه المؤسّسة العسكريّة.

ولا يختلف البرج الشرقيّ (١٦,٣٥م×١٣,٤٠م) عن البرج الغربيّ كثيرًا في التّخطيط، إلّا أنّ البرج الشرقيّ يقتصر بناؤه على طابقَين فقط، هما الأرضيّ والعلويّ، أسوة بباقي الجناح المبنيّ في العصر العثمانيّ.

وسقوف الأبراج لا تختلف عن سقوف الرَّدهات والقاعات الأخرى، مستوية من الخشب، حيث لم يراع المعمار عقادتها بالحجر أو الآجُرّ لتحمّل الأثقال بما يستلزم وضع مدافع على نواصيها، كما في القلعة القديمة التي كانت مشرفة على ميناء بنغازي.

الطابق العلويّ

لا يختلف الطابق العلويّ عن الطابق الأرضيّ كثيرًا من حيث التّخطيط، وجزؤه الوسطيّ مبنيّ فوق كتلة المدخل والمجاز. تتوسّطه قاعة واسعة أقيمت فوق إيوان المدخل، تُعدّ من أهمّ أجزاء المبنى لما تتمتّع به من موقع متميّز وارتفاع في سقفها وسعة في مساحتها، لعلّها كانت مقرًّا للوالي طاهر باشا ومَن خَلَفه على إدارة بنغازي. وقد تميّزت هذه القاعة بكثرة نوافذها التي تنفتح على الجهتَين الشّماليّة والجنوبيّة، ونوافذها المفتوحة في الواجهة تختلف عن باقي نوافذ القشلة، تعلوها عقود نصف دائريّة ترتكز على أعمدة اسطوانيّة لاصقة، وسقفها خشب تضرّر من جراء قصف بوارج قوّات الاِحتلال سنة ١٩١١م وأُعيد بناؤه على الطريقة نفسها.

إنّ جُلّ الطّابق العلويّ في القسم العثمانيّ ردهتان تمتدّان على يمين القاعة الوسطى



ويسارها كما في الطّابق الأرضيّ. وقد تشابهت الردهات في الطّابقَين من حيث كثرة النوافذ وطبيعة بناء السّقوف، لكنّها اختلفت في شكل البائكة التي امتدّت وسط الرّدهة وقسّمت القاعة إلى نصفَين ليستند عليها السّقف الخشبيّ.

إنّ الاِعتماد على الأعمدة الخشبيّة في رفع سقف الرَّدهتَين في الطّابق العلويّ كان بقصد تخفيف الثّقل عن الأسس، وفي الوقت نفسه من شأن هذه الأعمدة الممشوقة توفير فراغ أو مساحة أوسع من الأكتاف التي شغلت حيّزًا كبيرًا من الطابق الأرضيّ. وقد استندت جوائز السّقف الطويلة من الوسط على جائزة فخمة امتدّت على طول الرّدهة، وهي مرفوعة على عُمُدٍ مستندةٍ بدورها على أكتاف الطّابق الأرضيّ.

الدَّرَج

من الطبيعيّ أن تتعدّد الأدراج والسّلالم[٣] في الأبنية التي اتّصفت بمظاهرها العسكريّة، وأهمّها تلك التي تتّصل بالأبراج من الدّاخل كي تساعد على إدامتها بالمعدّات والمُؤن. وتعدّدها في الأبنية العسكريّة مرتبطٌ بمساحتها؛ فالمنشآت الكبيرة، كالقشلة، تكون عادةً كثيرة الأدراج أو السّلالم لتسهيل مهمّة حركة الجند ونقل المُؤَن. لذلك لا غرو أن نرى في قشلتنا أدراجًا موزّعة داخل الأجنحة البنائيّة المشيّدة في العهدَين العثمانيّ والإيطاليّ.

وفي ما يخصّ القسم العثمانيّ فأهمّ الأدراج جُعل ملاصقًا للأبراج. ولتسهيل مهمّة الوصول إلى هذه الأدراج جُعلَت لها مداخل خاصّة تفتح على الصّحن، كي تَسهُل على الجند الحركة بين مكان إقامتهم بالرّدهات وساحة التدريب.

ومن المُلاحظ أنّ الأدراج القائمة اليوم مجدّدةٌ في عهد الاِحتلال الإيطاليّ، وهي مبنيّة بالأجرّ الأحمر المعروف بقياساته الكبيرة وما يحتوي عليه من فراغات تزيد من تماسكة وترفع قدرته في العزل الحراريّ. ولعلّ الأدراج الأصليّة كانت من الخشب لأنّ الحاليّة تقطع النّوافذ بطريقة غير فنّيّة، ما يجعلنا نظنّ أنّ الأصليّة كانت سلالم من الخشب وقد تغيّرت في عهد الاِحتلال الإيطاليّ.

---

٣. للسُّلَّم في مصادرنا اللغوية عدّة مسمَّيات منها: الرَّيُم والمراهص والمعرج والمصعد والمرقاة. والألوسيّ يفرّق بين السُّلَّم والدَّرج في المعنى فيقول: «والدَّرج ما يُرتقى به إلى السّطح، فإن كان من الخشب فهو سُلَّم» الألوسيّ ١٣٤٣هـ/١٩٢٥م: جـ٣، ٣٩٠. ودَرَجُ البناء ودَرَجُه بالتثقيل مراتب بعضها فوق بعض؛ واحدتُه: دَرَجَة. ابن منظور ١٩٩٤: ج٢، ٢٦٦.



الصّحن: (الصّورة ١٦)

أمّا الصّحن، أو ساحة التدريب كما يحلو للعسكر تسميته، فهو مستطيل تبلغ مساحته ٢٤,٣٤٠م٢، وهو خالٍ من البناء، ما عدا ممرًّا محفورًا في تخوم الأرض شكله غير منتظم، يضيق من بعض النقاط ويتّسع من الأخرى. والممرّ يمتدّ باتّجاه الجزء السفليّ من الجناح الغربيّ للقسم العثمانيّ والمصمّم على شكل سرداب كما أسلفنا. والأرجح أنّ السرداب استُغِلّ ليكون سجنًا بوصفة جزءًا معزولاً تحت الطابق الأرضيّ ومحصّنًا لقلّة فتحاته، إذ لا توجد سوى نافذة واحدة صغيرة مفتوحة على الصّحن محميّة بشبكة من الحديد وجدت لتهوئته (٤). والسّرداب مرتبط بحجرة ملاصقة للبرج الغربيّ فيها درج يقود إلى الطّابقين الأرضيّ والعلويّ.



الصّورة ١٦: القشلة من الدّاخل وصحنها

وهناك مسجد له مئذنة يقع في الطّرف الجنوبيّ للصّحن. تزامن بناؤه، على الأرجح، مع بناء القشلة في عهد طاهر باشا، وتمّ ترميمه عام ١٩١٢م بعد الأضرار الجسيمة التي أصابته جراء قصف البوارج الحربيّة الإيطاليّة أثناء الاِحتلال. والمسجد غريب الطّراز بوصفه مغطًّى بسقف مسنّم الشّكل يستند إلى عوارض من الحديد، وقد زُوّد برواق محمول من الإمام على

---

٤. لا أدري ما إذا كان السّرداب مزوّدًا بنوافذ أخرى للإضاءة والتهوئة أم لا، إذ تعذّر علينا الدُّخول إلى هذا الجزء من القشلة لكونه مغلقًا.

عقود تقوم على أعمدة (الفقيه ١٩٩٦:١٠٦)، وفي طرفه مئذنة أزيل مخروطها بغية نصب جهاز يرتبط بهوائيّ معدنيّ وظيفته الأساسيّة استشعار حركة الرّياح ورصد سرعتها خدمةً لمهبط الطائرات الذي أنشئ قريبا من القشلة (فراكّارولي ١٩٩٦:١٨) (الصّورة ١٧).


Il cortile della Berca, con la vecchia moschea e il minareto.

الصّورة ١٧: مسجد قصر البركة: استخدام المئذنة من قِبَل الجيش الإيطاليّ لأغراض عسكريّة

عن Fraccaroli, A 1913

الفتحات

من البديهيّ أن تكون المداخل من أهمّ العناصر في البناء، ومعظم فتحاتها مُتَوَّجٌ بعقود نصف دائريّة أو منخفضة، بعضها مشغول بأبواب وبعضها الآخر مجرّد فتحات. وقد خلت القشلة من الأبواب الأصليّة لأنّها تبدّلت أثناء الصّيانة المتكرّرة التي شهدتها البناية.

أمّا النّوافذ فجميعها متشابهة، ما عدا تلك التي تعلو المدخل وكان عددها، في الأصل، خمسًا ثم أصبح عددها، بعد التّغييرات التي أجريت من قبل الطّليان بُعيد الاِحتلال، أربعًا. والنّوافذ الخمس كانت متوّجة بعقود نصف دائريّة تستند أرجلها إلى أعمدة وضعت بنواصٍ مخلقة وأعمدة النّوافذ لها قواعد وتيجان دائريّة أو مربّعة.



إنّ نوافذ قشلتنا تشبه، بتصميمها، تمامًا نوافذ قلعة بنغازي القديمة التي كانت قائمة على مدخل الميناء. ولم يقتصر هذا التّصميم للنّوافذ على العمارة العسكريّة فحسب، بل تعدّاها إلى الأبنية الدينيّة والخدميّة على اختلاف وظائفها، ومنها المساجد والأضرحة وبيوت السَّكَن. لقد بلغت أبعاد النّافذة الواحدة في القشلة من الخارج (١,٣٠م×٢,٣٥م)، أمّا من الدّاخل فقد جعلت واسعة، يربو عرضها على ١,٥٠م، كي تساعد على إدخال مقدار مناسب من الضَّوء. والنّوافذ متوّجة بعقود منخفضة ومزيّنة بأطر حجريّة بارزة من الخارج عرضها ٢٢سم (الصّورة - ١٨).

والنّوافذ مشغولة بأطر من الخشب، عليها مصاريع مغشّاةٌ بألواح من الزُّجاج ومحميّة، في الوقت نفسه، من الأمام بمُشبَّكات حديد قويّة على شكل قضبان دائريّة ملساء مرتّبة بشكل عموديّ تخترقها قضبان أخرى مرتّبة بشكل أفقيّ لترسم، وفق هذه الصّورة، مربّعاتٍ منتظمةً، وهي مثبّتة في الجدران من الجانبَين. وشبابيك الخشب مجدّدة كما يتّضح ذلك من شكل الخشب ونوعيّته، وكذلك مشبَّكات الحديد ليست من أصل البناء، لأنّ الصّور القديمة لم تؤكّد وجودها في العصر العثمانيّ.



الصورة ١٨: نافذة مفتوحة في الواجهة

السُّقوف

لقد شهدت بنغازي، في العصر العثمانيّ، شيوع نوع من السُّقوف الخشبيّة، ما زالت تشاهد في قشلتها وبعض مساجدها وبيوتها القديمة. وهي تعتمد على الألواح العريضة التي تُرصَف عادة، بعضُها إلى جانب بعضها الآخر، بعناية كبيرة، وهي تستند إلى جوائز مربّعة المقطع تسمّى محلّيًّا (مرتك). والجوائز مرفوعة فوق قناطر خشبيَّة فخمة تتّكئ على الجدران. وبديهيّ أن تَعلو الألواحَ طبقةٌ من كسر الحجارة والطّين (الصّورة ١٩).

ومن الملاحظ أنّ هذا النوع من السُّقوف قد ساد في طرابلس خلال العصرَين القرمانليّ والعثمانيّ الثاني. وكَثُر استخدامه في بيوت الباشاوات وكبار الأعيان والتّجّار، والسُّقوف هناك تتميّز بكثرة رسومها وزخارفها وهي تقوم، عادة، على جوائز مصندقة بألواح خشبيَّة ذات نوعيّات جيّدة كانت تُستورد خصّيصًا لهذا الغرض.

ما زال القسم العثمانيّ في قشلتنا يحتفظ بأجزاء كبيرة من السُّقوف الأصليّة، المتميّزة بجوائزها الفخمة التي تحمل فوقها ألواحًا عريضة رُصَّت بعضها الى جانب بعضها الآخر بدقّة متناهية كي لا تسمح بتساقط التّراب النّازل من طبقة الطّين المفروشة فوقها. وقد تَلَت طبقةَ الطّين فرشةٌ من كسر الحجارة الرمليّة والجصّ تعلوها طبقة خفيفة من القار (الإسفلت)، وقد بلغ ثخن هذه الطبقات مجتمعةً ٣٠سم، وفي مدّة لاحقة تلتها طبقات أخرى من الحجارة والجصّ ثمّ أخرى من الإسفلت، حتّى أصبح ثخن السّقف نصف متر أو يزيد. ويمكن مشاهدة الإضافات الطّارئة على السّقف وتمييزها بسهولة بعد سقوط أجزاء كبيرة منه في السّنوات الأخيرة (الصّورة ٢٠).



الصّورة ٢٠: إنهيار السّقوف الأصليّة

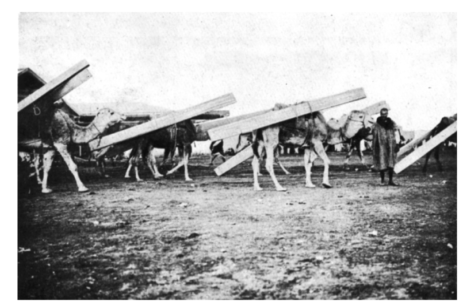


الصّورة ١٩: السُّقوف الأصليّة في إحدى الرّدهات



وتختلف السُّقوف المشيَّدة فوق الجناحَين الشرقيّ والغربيّ المستحدَثين في عهد الاِحتلال الإيطاليّ، إذ اعتمد الطّليان، في بناء هذه السُّقوف، على الآجرّ والحديد الذي يشبه مقطعه، إلى حدٍّ ما، الحرف اللّاتينيّ H والمعروف في العراق باسم (الشيلمان)، والمفيد ذكره أنّ هذا النّوع من السّقوف قد استُخدم في ليبيا، على نطاق ضيّق، في نهاية القرن التاسع عشر حيث مازال يشاهَد في عمائر طرابلسيّة مشيّدة في نهاية العصر العثمانيّ.

لقد عنِيَ المعمار بسقف الكتلة التي تتوسّط المبنى العثمانيّ عناية كبيرة، فجعل جوائزها مصندقة، أي مغلّفة بألواح رقيقة مشغولة بعناية كي تُضفي على السّقف بهاءً وجمالاً (الصّورة ٢١). ومن المفيد التّنويه بأنّ الأخشاب المعتمدة في تشييد السُّقوف أو في الأعمال الأخرى المتمّمة للبناء، كالنّوافذ والأبواب، كانت مستوردة من الخارج (الصّورة ٢٢)، حيث كانت بنغازي، على الدّوام، تطلب الأخشاب من تركيا عند إقامة المنشآت الحكوميّة، وأحيانًا تضطرّ إلى استيرادها من جزيرة كريت بوصفها الأكثر قُربًا والأكثر موافقةً من النّاحية الاِقتصاديّة. فعلى سبيل المثال، عندما حاول العثمانيّون تطوير ميناء بنغازي وتنظيفه عام ١٨٧٦م طلبوا من إسطنبول لوازم بناء وأخشابًا تعينهم على تنفيذ المشروع، والأخيرة نصحت متصرّفيّة بنغازي بشراء الخشب من جزيرة كريت (الوثائق العثمانيّة ١٩٩٠: وثيقة ٣٦). وعندما وُضع حجر الأساس للكنيسة الكاثوليكيّة داخل بنغازي، في اليوم الأوّل من شهر يناير عام ١٨٥٧م، تبرّع بابا الڤاتيكان (بيوس) بالأخشاب، وقد نقلت إلى بنغازي على ظهر سفينة كانت ترفع علم البابويّة وهي قادمة من أنكونيا الإيطاليّة (بازامة ١٩٩٤:١١٦).



الصّورة ٢٢: أخشاب مستوردة تنقل من ميناء بنغازي ١٩١٢



الصّورة ٢١: جانب من السّقوف العثمانيّة (٢٠٠٩)

لقد شهدت سقوف القشلة صيانة لمرّات عديدة صحبها بعض الإضافات، بدءًا من عهد الاِحتلال الإيطاليّ، وبقايا تلك الأعمال مازالت تشاهد في الوقت الحاضر ومن أهمّها السُّقوف الثانويّة التي حجبت السّقف الأصليّ، وقد سقط معظمها بسبب الإهمال والتقادم وعوامل التعرية.

مصادر المياه في القشلة

لمّا كانت حاجة الجند اليوميّة من المياه كبيرة جدًّا فعلى الأرجح كانت في القشلة بئر أو مجموعة من الآبار محفورة في الأرض الصخريّة التي أقيمت عليها القشلة، وربّما تمّ حفر الآبار قبل البدء بعمليّة البناء لأنّ الحاجة إلى الماء أثناء البناء ضرورة ملحّة. وتُوجد اليوم في الموقع بئران مُغلقتان تقعان في آخِر الجناح الشّرقيّ، ويبدو أنّ هذه الآبار محفورة بالتّزامن مع بناء القشلة أو قبله. فقد كشفت إحدى الصّور الملتقطة للموقع عام ١٩٠٤م عن بئر مازالت معالمها قائمة حتّى عصرنا الحاضر (الصورة - ٢٣). ويذكر كبار السّنّ أنّ جامع القشلة مزوّد ببئر ماؤُها عذب يستعمل للشّرب والوضوء معًا، وقد رُدمَت بعد إزالة الجامع عام ١٩٨٩م.



الصّورة ٢٣: توضح موضع البئر أثناء بناء مئذنة الجامع عام ١٩٠٤م

من البديهيّ أن يكون في القشلة العثمانيّة ماجل لخزن مياه الأمطار عند تواترها في فصل الشّتاء؛ ولا يمكن التّكهّن بموضعه الآن لكثرة التّغيّرات التي طرأت على المبنى وأرضيّته، لكنّ المرجّح أن يكون محفورًا تحت جزء من البرج الشّرقيّ وذلك لوجود حنيّة صمّاء متوّجة بعقد لعلّها كانت مأخذًا للماجل. ولعلّ الماجل في هذا الموضع يكون ماؤه مخصّصًا للباشا ولذَوي الرّتب العسكريّة وكبار العاملِين في القشلة، وهو أمر طبيعيّ لأنّ ماءَه لا يكفي لسدّ حاجة الجند المقيمين داخل القشلة وعددهم كبيرٌ جدًّا.

شباط ٢٠١٨



قائمة المصادر والمراجع

إبن منظور، ١٩٩٤، لسان العرب، ج٢، دار صادر، بيروت.

الألوسيّ، ١٣٤٣هـ/١٩٢٥م، بلوغ الأَرب في معرفة أحوال العرب، ج٣، مطبعة الرحمانيّة، مصر

الآنسيّ، ١٢١٨هـ قاموس اللّغة العثمانيّة، مطبعة جريدة بيروت.

بازامة محمّد مصطفى، ١٩٦٨، مدينة بنغازي عبر التاريخ، دار ليبيا للنّشر والتوزيع، بنغازي.

بازامة محمّد مصطفى، ١٩٩٤، بنغازي متصرفليك، تاريخ برقّة في العهد العثمانيّ الثاني، ج٣، دار الحوار الثّقافيّ العربيّ الأوروبيّ، قبرص.

تيجاني، ٢٠٠٣، بنغازي في العقد الثاني من القرن العشرين، ترجمة محمّد رؤوف بن عامر، مطابع الثورة، بنغازي.

الدّراجي سعدي إبراهيم ١٩٨٥، عمارة القلاع وتخطيطها في شماليّ العراق، رسالة ماجستير غير منشورة مقدّمة إلى قسم الآثار في جامعة بغداد.

الدّراجي سعدي إبراهيم، ٢٠٠٣، زليتن دراسة في العمارة الإسلاميّة، منشورات القيادة الاِجتماعيّة الشعبيّة، زليتن.

العظم صادق مؤيّد، ١٩٩٨، رحلة في الصحراء الكبرى بأفريقيا، ترجمه عن العثمانيّة عبد الكريم أبو شويرب، دار المحيط العربيّ، بيروت.

غيرهارد رولفس، ٢٠٠٢، رحلة من طرابلس إلى الإسكندريّة، ترجمة عماد الدّين غانم، منشورات مركز جهاد اللّيبيِّين للدّراسات التاريخيّة، مطابع المؤسّسة التعليميّة للوسائل التعليميّة، حلب.

الفقيه عبد السَّتّار، ١٩٩٦، مساجد بنغازي القديمة، مطابع الثورة، بنغازي.

القفصيّ سلامة عبد الحكيم، ١٩٩٧، ملاحظات حول المنشآت الدّفاعيّة من خلال بعض المخطوطات التونسيّة في القرن التاسع عشر، المؤتمر العالميّ الأوّل مدوّنة الآثار العثمانيّة، تونس.

الوثائق العثمانيّة، ١٩٩٠، المجموعة الأولى، ترجمة محمّد الأسطى، منشورات مركز الجهاد، ليبيا.

Davie M. F., 2003, « Du *sour* à la *qichlat* et au sérail de Beyrouth (XIX^{e}-XX^{e} s.) », *Citadelles, fortifications militaires et influences artistiques ottomanes, Actes du Ve congès international d'archélogie ottomane tenu les 21, 22 et 23 septembre 2001*, Fondation Temimi pour la recherche scientifique et l'information, Série 2 : Archéologie ottomane, n° 8, pp. 2534.

Fraccaroli A., 1913*, In Cirenaica Con I Soldati*, Milano, Fratelli Treves Editori.